الفصل العاشر

فى نبوءات المستقبل

١٠ / ١ إعجاز القرآن وحفظه

أ – وعد الله سبحانه بحفظ القرآن الكريم وبقائه إلى آخر الزمان؛ بعهد الله وقسمه، وقد كان، فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى لم يعتره تعديل ولا تحريف ولا اختلاف :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩](١).

والحفظ الذى تكفل به الله سبحانه وتعالى هو للقرآن دون سائر الكتب السماوية، كما يتبين من مقارنة الآية بآية [المائدة: ٤٤]:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾.

فالحفظ للكتب السماوية السابقة كان منوطا بأهل التوراة وأهل الإنجيل فما رعوها حور رعايتها، كما بينا من قبل (انظر ٩ / ٤).

ب – النبوءة القرآنية بأن العلم سيتقدم، وسيتعرف البشر على المزيد من آيات الإعجاز فى رسالة الإسلام – وهو ماتحقق فعلا– هى فى حد ذاتها (أى النبوءة)

---

(١) معجزة شاهدة بربانية هذا الكتاب... الأحوال والظروف والملابسات والعوامل التى تقلبت على هذا الكتاب فى خلال هذه القرون ماكان يمكن أن تتركه مصونا محفوظا لاتتبدل فيه كلمة، ولاتحرف فيه جملة، لولا أن هناك قدرة خارجة عن إرادة البشر، أكبر من الأحوال والظروف والملابسات والعوامل، تحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل، وتصونه من العبث والتحريف... (مثل) ماصنعته الفرق فى الحديث وماترتب عليه من جهد لغربلة السنة، وفى تأويل معانى القرآن ولكنها عجزت عن تحريف (نص) القرآن، ثم أعداء هذا الزمن... والكيد للمسلمين ودين الله، وقدروا على تزوير التاريخ... ولكنهم لم يقدروا على شىء واحد –والظروف الظاهرية كلها مهيأة له– لم يقدروا على إحداث شىء فى هذا الكتاب المحفوظ (الظلال).

إعجاز علمى تاريخى أكده ويؤكده، يوما بعد يوم، تاريخ العلوم المطرد:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣][1].

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٧].

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣].

﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ . وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨].

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ٣٩][2].

وهنا أيضا لم يدرك المفسرون القدماء مغزى « تأويله » فصرفوا المعنى إلى أن المقصود هو ما سيأتيهم من الوعيد، رغم أن سياق الآيتين فى سورة الأعراف وسورة يونس يتحدث عما جاء به القرآن من علم، فتسبق آية الأعراف: ﴿ **هل ينظرون إلاتأويله...** ﴾ الآية:

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٢].

---

(١) ولقد صدقهم الله وعده، فكشف لهم عن آياته فى الآفاق خلال القرون الأربعة عشر التى تلت هذا الوعد، وكشف لهم عن آياته فى أنفسهم، ومايزال يكشف لهم فى كل يوم عن جديد (الظلال)، سنريهم دلائلنا بصحته فى نواحى الأرض وفى أنفسهم أى وفى مجتمعهم (المفسر).

(٢) لقد كذبوا بالوحى بالقرآن وصدق مافيه من الوعد والوعيد: لقد كذبوا بهذا وليس لديهم من علم يقوم عليه التكذيب، ولما يأتهم تأويله الواقعى بوقوعه (الظلال)، بل كذب هؤلاء المشركون وسارعوا إلى الطعن به قبل أن يفقهوه ويتدبروا مافيه، والناس دائما أعداء ماجهلوا (الصفوة)، من غير أن يتدبروا ويعلموا مافيه، فلم ينظروا فيه بأنفسهم، ولم يقفوا على تفسيره وبيان أحكامه بالرجوع إلى غيرهم (المنتخب)، بل كذبوا بشىء لم يعرفوه ولم يجئهم تأويله بعد (المفسر).

وكذلك آية يونس ﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه...** ﴾ تسبقها الآية الآتية:

﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [يونس: ٣٨].

أى أن الفهم الصحيح والتأويل السليم لآيات القرآن سيأتى بعدُ حين يشاء الله.

جـ - تحدى القرآن أن يأتى البشر- كل البشر أفرادا أو مجتمعين- أن يأتوا بما يضاهى البيان القرآنى، وتنبأ بعجزهم جيلا بعد جيل، كما فى التحدى الذى جاءت به آية (يونس / ٣٨)، وفى هذه الآيات:

﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [هود: ١٣].

﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [القصص: ٤٩].

﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ . فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ** ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤].

وقد كان: فلم يكتب بشر ما يضاهى فى بلاغته - ولو ادعاءً - بلاغة القرآن، وقد تكفل علماء العربية والإسلام بدراسة النص القرآنى وتحليله، ومقارنته بلغة اللسان العربى وآدابه فى القديم والحديث، وبرهنوا على تميز الخطاب القرآنى واستعصائه على المحاكاة[1]، ومازالوا يستكشفون المزيد من أسرار البيان القرآنى، ويبقى القرآن معجزة بلاغية ماثلة إلى آخر الزمان.

---

(١) ولعل من إعجاز النص القرآنى أيضا ما لاحظه بعض الباحثين من موافقات فى تكرار بعض الألفاظ المتقابلة مثل: الشياطين والملائكة (٨٨ مرة بصيغها المختلفة)، الدنيا والآخرة (١١٥ مرة)، والسيئات والصالحات (١٨٠ مرة بمشتقاتها)، القرآن والوحى والإسلام بمشتقاتها (٧٠ مرة لكل منها).

١٠ / ٢ انتصار الدعوة:

أ – تنبأ القرآن مقدما بكل ماكان من استمرار الدعوة الناشئة فى أحلك الظروف وأقساها، وبحفظ الله تعالى نبيه من تآمر الكافرين على اغتياله، وبفتح مكة ودخول الكعبة وتطهيرها من الأصنام، كما تبينها الآيات المتتالية الآتية:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [القصص: ٨٥](١).

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا . وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح: ١ – ٣].

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ٢٧].

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

ب – كما تنبأ بموت نفر من الكفار بعينهم على الكفر، وقد كان، ولم يكن ثمة ما يمنع إسلامهم، وقد أسلم من كانوا أشد منهم عداء للإسلام كعمر بن الخطاب رضى الله عنه وخالد بن الوليد، فنزلت الآيات:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ١١ – ٢٦].

نزلت فى الوليد بن المغيرة.

---

(٢) « لرادك إلي معاد »، لرادك إلي الأرض التي اعتدتها، وهي مكة، أو من مصدر « عاد » (المفسر)، وعد من الله بفتح مكة (الصفوة).

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد : ١ – ٥].

نزلت فى أبى لهب وزوجه.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان : ٦ ، ٧][1].

نزلت فى النضر بن الحارث.

١٠ / ٣ هزيمة الفرس :

مما جاء به القرآن من نبوءات تاريخية، هى من الغيب الذى لا يعلمه إلا خالق الكون القيوم سبحانه وتعالى، ما تحقق نبوءة بعد الأخرى. من أشهر النبوءات اندحار الفرس أمام الروم فى بضع سنين من نزول الآية :

﴿ الٓمٓ . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ١ – ٦][2].

---

(١) فى بعض الروايات أنها فى النضر بن الحارث يشترى كتب أساطير الفرس ويجلس فى طريق الذاهبين إلى رسول الله ﷺ ...، ولكن النص أعم... إذا صح أنه وارد فيه... (الظلال)، وروى أن النضر بن الحارث كان يشترى المغنيات، فلايظفر بأحد يريد الإسلام، إلا انطلق إلى قينته المغنية، فيقول لها: أطعميه واسقيه الخمر وغنيه، ويقول : هذا خير مما يدعوك إليه ... (الصفوة) .

(٢) الأولى انتصار الفرس فى بلاد الشام بقيادة خسرو ابرويز أو خسرو الثانى المعروف بكسرى على الروم بقيادة هيراكليوس الصغير المعروف بهرقل عام ٦١٤م واستولى على أنطاكية ثم دمشق، ثم حاصروا بيت المقدس وأحرقوها ونهبوها وذبحوا، ودمروا كنيسة القيامة، ورد هرقل الكرة عليهم فى معركة على أرض أرمينية عام ٦٢٢م (الأول من الهجرة)، كان فاتحة انتصارات الروم (المنتخب)، وفى حديث رواه ابن جرير بإسناده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه، قال: كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم؛ وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وهم أقرب إلى دينهم. فلما نزلت: ألم. غلبت الروم... (الآية) قالوا: يا أبا بكر إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس فى بضع سنين قال: صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك (قبل تحريم الرهان)، فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين. فمضت السبع ولم يكن =

والبضع لغة : ما بين الثلاث والتسع، وقد كانت كل الدلائل تشير إلى العكس، أى إلى النصر النهائى للفرس.

١٠ / ٤ فساد البيئة :

تنبأ القرآن الكريم بما سيصيب البيئة الأرضية من تدهور وفساد بفعل البشر، وأطماعهم وسوء استخدامهم لما أنعم الله عليهم فى الأرض والموارد، وغفلتهم عن حمل أمانة عمارة الأرض وإصلاحها والتعاون على الخير، التى حملهم إياها الله سبحانه وتعالى، وهذا ما تنطق به الآيات :

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم : ٤١][1].

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦].

الجمع بين البر والبحر يؤكد أن المقصود هو فساد البيئة، فلو ذكر البر فقط لربما فهم المقصود بأنه الفساد الناشىء عن الظلم والاستبداد والحروب؛ وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين من القدماء، ولكنا نتساءل : أى فساد يصيب البحار من جراء صراعات البشر، إن المعنى المباشر ظاهر ولا مجال فيه للتأويل.

فى التنبؤ بأن الإنسان مهما بلغ علمه وزادت معرفته لن يكون- بغير هدى الله - أهلا لمسئولية الحفاظ على نعم الله فى الأرض قال تعالى أيضا :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب : ٧٢].

= شىء، ففرح المشركون بذلك، فشق على المسلمين، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : ما بضع سنين عندكم، قالوا : دون العشر، قال : اذهب فزايدهم وازدد سنتين فى الأجل. قال فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس، ففرح المؤمنون بذلك (الظلال).

(١) قال البيضاوى : المراد بالفساد الجدب وكثرة الحرق والغرق، ومحق البركات وكثرة المضار (الصفوة)، كالجدب والأمراض المجتاحة، وحوادث الغرق، وطغيان الأنهار، والزلازل بما كسبت أيدى الناس من الذنوب (المفسر)، الحرق والقحط والآفات وكساد التجارة والغرق، بسبب جرائم وآثام الناس (المنتخب).

١٠ / ٥ علامات الساعة:

حدث المصطفى صلى الله عليه وسلم بما أعلمه به الروح الأمين مما سيحدث من إرهاصات لقيام الساعة وعلامات لها، ومنها علامات صغرى تتوالى على امتداد الزمان حتى اقتراب القيامة؛ ثم علامات كبرى بين يدى الساعة لا تغنى بعدها توبة، ولا ينفع إيمان نفس لم تكن آمنت من قبل.

جاءت أحداث التاريخ وما وقعت به من العلامات الصغرى – التى أنبأت بها الأحاديث المطهرة – برهانا ساطعا على صدق الرسول وصدق الرسالة، ولنتدبر هذه الأحاديث:

« إذا رأيت الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان فانتظروا الساعة« (البخارى ومسلم).

« ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره » (أبو داود وابن ماجة).

« لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، وحتى يتطاول الناس فى البنيان » (البخارى).

« إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر » (البخارى ومسلم).

« صنفان من أمتى من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها » (مسلم وأحمد)

« من علامات اقتراب الساعة تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال » (أبو نعيم فى الحلية).

« إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة « أن يخص إنسانا بالسلام بدلا من إفشائه »، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفشو القلم، وظهور الشهادة بالزور، وكتمان شهادة الحق » (البخارى).

« لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين، لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتى أمر

الله) (مسلم والترمذى وأبو داود)

ولنقارن بوقائع التاريخ :

– أصبح العالم شئنا أو لم نشأ يتعامل بالربا، فالنظام النقدى العالمى المتشابك الذى ترتبط به كل دول العالم وتوجهه المؤسسات المالية الكبرى (التى يسيطر عليها اليهود) نظام ربوى، والنقد الورقى الذى تسير به كل معاملاتنا له غطاء ذهبى غير مستقر؛ وإنما يتراوح صعودا وهبوطا مع أسعار العملات وتقلبات أسواق الأوراق المالية؛ ومعنى ذلك أن القيمة الفعلية لأى مال تملكه يضاف إليها ربا أو يخسر منها يوما بعد يوم.

– الزنا ومعاقرة الخمر والمخدرات: تفشو كالوباء فى كل المجتمعات؛ وأصبح الإعلام والفن العالمى لترويج هذه الشرور له الصوت الأعلى، بل كاد ينفرد بتوجيه عقل البشر فى كل المجتمعات.

– قبض العلماء: أين هم فى أسواق عكاظ الجاهلية المعاصرة، التى ابتكرت وسائل للنشر والتأثير لا تتسع إلا للملحدين والمفسدين.

– قطع الأرحام: وقد تمزقت الأسر؛ ولم يعد لها وجود فعلى إلا فى بعض المجتمعات التى لم يزل فيها بقية من دين.

– فشو التجارة: وقد أصبح العالم سوقا واحدا تتصل أسواقه المالية بالحاسبات والأقمار الصناعية، وتسيطر على تجارته الشركات متعددة الجنسيات التى توجه الصفقات والأسعار؛ وأيضا السياسات والحكومات.

– التطاول فى البنيان: وقد وصلت ناطحات السحاب لمدى لم يكن يتخيله من جاء بالنبوءة ﷺ، وقاد هذا الاتجاه سكان القارة الأمريكية، الذين كان أسلافهم من المهاجرين من شتى البلاد الأوربية؛ ومن قاع مجتمعاتها واشتهروا لأجيال طويلة بأنهم رعاة البقر.

– تشبه الرجال بالنساء والعكس: أصبح سمة بارزة فى الأمم التى تسيطر على شعوب الأرض، بل أصبح الشذوذ هنالك نظاماً يقف للزواج الطبيعى ندا لند.

– طائفة على الحق ظاهرة: فلم يندثر الإسلام رغم تطاول الزمان وتكالب الأعداء، بل قيض له فى كل جيل من يحيى موات القلوب، ويبعث مدا جديدا للإسلام.

١٠ / ٦ مشاهد القيامة:

أحداث القيامة من أمر الله تعالى لا يكشفها ولا يجليها لوقتها إلا هو، وقد حذرت الآيات القرآنية وأنذرت من أهوال ذلك اليوم، ووصفتها صفات تقربها إلى أذهاننا، وتتفق مع كل ما يكشفه الله لعباده من معارف ومفاهيم؛ فيظل القرآن دائما صادقا معجزا.

تتطابق كثير من علامات الساعة مع ما ندركه عن الكون وطبيعته؛ مثل انشقاق الغلاف الجوى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] انشقت: تصدعت، أو انفطاره:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] وانفطرت: انشقت.

ومثل تكور النجوم الغازية عندما يتقدم بها العمر فتبرد وتنكمش، وتتحول إلى ما يعرف بالقزم الأبيض وهو ما لوحظ عمليا فى الدراسات الفلكية، كما جاء فى آيتين عن تكور الشمس وانكدار النجوم:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١، ٢](١).

بينما تتفتت الكواكب الصلبة «تنتثر» عند اختلال النظام الكونى:

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢](٢).

وتفجير البحار كما فى الآية: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣](٣).

وكشط الغلاف الجوى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١](٤).

---

(١) كورت الشمس: جمع ضوؤها وصار كالكرة (الوسيط) قال أبو عبيدة: كورت مثل تكوير العمامة تلف فتمحى، وقال قتادة: كورت ذهب ضوؤها، وهو قول الفراء (اللسان)، قد يعنى برودتها وانطفاء شعلتها وانكماش ألسنتها الملتهبة، واستحالتها من غاز حرارته ١٢٠٠٠° ... إلى حالة تجمد مثل قشرة الأرض... قد يكون هذا، وقد يكون غيره (الظلال).

(٢) نثر الشيئ: رمى به متفرقا، وانتثر: تفرق (الوسيط).

(٣) تفجير البحار: يحتمل غمرها للياسة، كما يحتمل تفجير مائها إلى عنصريه الأكسجين والإيدروجين، فتتحول مياهها إلى هذين الغازين، كذلك يحتمل تفجير ذرات هذين الغازين (الصواب: الإيدروجين فقط) كما يقع فى تفجير القنابل... والهيدروجينية اليوم، أو أن يكون بهيئة أخرى غير مايعرف البشر (الظلال).

(٤) كشطه كشطا: أزاله عنه، يقال كشط الجلد عن الذبيحة (الوسيط) وكشف الغطاء عن الشيء: قلعه ونزعه وكشفه عنه (اللسان).

ومثل ضآلة الحجم الحقيقى لمادة الكون بالنسبة لاتساعه، والتى انطلقت لتملأ الكون أجراما سماوية متباعدة؛ حتى تتجمع ثانية بأمر الله يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤][1].

أكد المولى جل وعلا استحالة معرفة وقت الساعة أو التنبؤ به، وهذه الاستحالة يؤكدها العلم الحديث؛ بسبب واضح أشرنا إليه عند الحديث عن أبعاد الكون الذى يضم بلايين المجرات أقربها إلى مجرتنا على بعد ٧٠٠٠٠٠ سنة ضوئية بينما يقطع الضوء داخل مجرتنا وحدها ٥٠٠٠٠ سنة ليصل إلى حافتها (من المركز)، ومعنى ذلك ببساطة شديدة أن أعظم أجهزة الرصد على كوكب الأرض لا تستطيع أن ترى أو تكشف حدثا كونيا ضخما داخل مجرتنا؛ إلا بعد سنين أو عشرات أو مئات أو آلاف السنين من وقوعه (فما بالك بحدث فى مجرة بعيدة)، فإذا بدأت الأحداث الكونية الممهدة للقيامة بانفجار نجم أو نجوم، أو اصطدام أجرام سماوية بجسم من داخل المجرة أو خارجها (بما يخل بتوازن المجرة بما فيها مجموعتنا الشمسية)، فإننا لن ندرك أو نبصر الحدث فى حينه وسنظل غافلين عنه دهورا حتى تقع الواقعة فعلا فى أرضنا وتصيبنا أهوالها، ما الذى يدرينا أن مقدمات الساعة لم تبدأ فعلا فى مكان ما فى أرجاء الكون الفسيح، ومن الذى يستطيع -علميا فى ضوء هذا التحليل- أن ينكر احتمال أن تأتينا تداعياتها بغتة فى أى لحظة، أليست هذه آية كبرى على صدق وإعجاز القرآن الكريم الذى يؤكد مرارا استحالة التنبؤ بالقيامة واستئثار الله تعالى بمعرفتها، وصدق الله العظيم:

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ١٥].

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٨].

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى: ١٧].

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١].

---

(١) طوى الشيء طيا: ضم بعضه على بعض، أو لف بعضه فوق بعض (الوسيط).

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣١].

﴿ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٧].

﴿ وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج : ٥٥].

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [الزخرف : ٦٦].

﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٠].

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٧].

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤].

﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٦٣].

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٧].

﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٥].

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ [النازعات : ٤٢ – ٤٤].

وصدق الله العظيم فى كتابه المعجز الكريم